



رحلة معاذٍ إلى اليمن

المحاضرات

محاضرة في الأردن

2021-02-15

عمان

الأردن

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ: يَسْتَمُّ اللَّهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يُفْعَلُ وَأَنْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَزِدْنَا عِلْمًا، وَأَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَأُزِقْنَا أَتْبَاعَهُ، وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَأَرِزُقْنَا اجْتِنَابَهُ، وَاجْعَلْنَا مِنْ مَنْ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ.

مقدمة:

عنوان لقائنا اليوم: رحلة معاذٍ رضي الله عنه إلى اليمن، كما تعلمون فإن معاذَ بن جبل رضي الله عنه أحد الصحابة الكرام الذين أرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في رحلةٍ دعويةٍ، مهمةٍ دعويةٍ إلى اليمن ليدعو الناس إلى الإسلام ويكون سفيرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليمن، وكان في هذه الرحلة الجميلة دروسٌ وعبرٌ يمكن أن نستفيد منها.

فقد ثبت في الصحيح أن أخِي عهد معاذَ بن جبل رضي الله عنه برسول الله صلى الله عليه وسلم كان قبل سفره إلى اليمن، ودَّع رسول الله صلى الله عليه وسلم وداع المُحِبِّ لحيبيه وذهب إلى اليمن وتوقَّع بعد رحلةٍ دعويةٍ مباركةٍ، فالنبي صلى الله عليه وسلم في وداعه كان له جملَةٌ مِنَ النِّصَاحِ، وهنا موطن الشاهد الذي نريد أن نستفيد منه: هذه النِّصَاحِ التي نصح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذَ بن جبل.

مرتبة الخُلُقِ العالية:

في صحيح البخاري:

{ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَخِرُّ مَا أَوْصَانِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ وَصَعْتُ رِجْلِي فِي الْعُزْرَةِ أَنْ قَالَ: "أَحْسِنُ

حُلُقَكَ لِلنَّاسِ يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ" }

(صحيح البخاري)

(جِنَ وَصَعَتْ رَجُلِي فِي الْعَزْرِ) العبير من أجل أن يمضي إلى سفره، (أَحْسِنَ خُلُقَكَ لِلنَّاسِ يَا مَعَاذُ بَنِ جَنَلٍ) آخر وصية أوصاه بها عندما ودَّعه قال: (أَحْسِنَ خُلُقَكَ)، قالوا: "نحن إلى قليلٍ من الأخلاق أحوح إلى كثيرٍ من العلم".



تناء الله عز وجل على خلق النبي الكريم إخواننا الكرام؛ العمل يُحصَل بالمُدارسة، بالمُتابعة، لكن الخُلُق مرتبةٌ عاليةٌ، لَمَّا أثنى الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم؛ وكان في محمدٍ صلى الله عليه وسلم من عظام الأمور الكثير؛ فهو سيد الخُلُق وحبيب الحق، وعنده من جمال الصورة، وعنده من حُسن القيادة، وعنده من النبوَّة والوحي، وعنده من العِلْم الغزير، لكن الله تعالى لَمَّا أثنى عليه قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)

(سورة القلم)

وتعلمون جميعاً أن (عَلَى) في اللغة العربية تُفيد الاستعلاء، لذلك يقول الله تعالى في قرآنه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَقَمَنَ سَرَحَ اللَّهِ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۖ قَوْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۗ
وَأُولَئِكَ فِي صَلَاتٍ مُّبِينٍ (22)

(سورة الزمر)

(وَأُولَئِكَ فِي صَلَاتٍ مُّبِينٍ) أي غارقون في صلاتهم، لكن عندما يتحدث عن المؤمنين يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)

(سورة البقرة)

(وَأُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ) فالهدي يأتي معه (عَلَى) لأن الإنسان عندما يهتدي فإنه يستعلي على أحوال البشر مما يخوضون به من الكلام السيء والغيبة والنميمة، فجاءت (عَلَى هُدًى) متمكنون من هداية ربهم، أما الصلال: فهم في صلاتهم يعمهون، غارقون في الأوجال والشهوات.

فلما وصف نبيّه صلى الله عليه وسلم أو أثنى عليه قال: (وَأِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) أي أنت متمكّن من الأخلاق، يمكن أن نقول: إننا ذو خُلُق، لكن قليلٌ من الناس وعلى رأسهم الأنبياء يكونون على خُلُق، ما الفرق بين أن تقول: فلانٌ ذو خُلُق، أو أن تقول: فلانٌ على خُلُق؟ إن قلت: فلانٌ ذو خُلُق، يعني صاحب خُلُق، عنده أخلاق ولله الحمد، أما على خُلُق فهو متمكّن من أخلاقه، متمكّن من الأخلاق بمعنى أنه لا يأخذ وقتاً لأخذ قراره في الصدق أو في الأمانة لا يتردد، الصدق عنده مبدأ، أما الإنسان صاحب الأخلاق فقد يتردد أحياناً فتنازعه نفسه إلى قبض مبلغٍ من حرامٍ ثمَّ يعفُّ عنه خوفاً من الله، أما لما يتمكن الإنسان من الأخلاق فبمجرد أن يرى قرشاً فيه شبهةٌ يقول لك: لا أخذه، لأنه أصبح على خُلُق، هذا معنى (وَأِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ).

الحض على التعبير عن المشاعر:

فصاحب الخلق صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يوصي حبيبه معاداً؛ وأقول: حبيبه؛ لأنه قال له يوماً:

{ عَن مُعَاذَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدَ يَدَيْهِ وَقَالَ: ** يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لِأَجِبُّكَ، ثُمَّ أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدْعُنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ ** }
(رواه أبو داود والنسائي)

(يا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لِأَجِبُّكَ) وتخيّلوا كيف قضى معاذ تلك الليلة بعد أن قال له الحبيب: (إِنِّي لِأَجِبُّكَ)، ثم أوصاه فقال: (لَا تَدْعُنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ).



المؤمن لا يبخل في التعبير عن مشاعره
(يا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لِأَجِبُّكَ) وعلمنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أحببنا آخر أن نُعلِّمه بذلك، بعض الناس يَصْنُتُونَ بالمشاعر، عندهم بخلٌ بالمشاعر، يحمل في قلبه مشاعر الحب لزوجته ولأولاده وإخوانه لكنه يبخل بالكلمة، يجود عليهم بالمال وبالطعام وبالشراب لكنه يرى أنه ليس من المناسب أن يقول لزوجته: إِنِّي أَحِبُّكَ، مع أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: الحمد لله الذي رزقني حُبَّهَا، حُبَّ حَدِيحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

{ عَن عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا عَزَّرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا عَلَى حَدِيحَةَ وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا، قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَبَّحَ الشَّاةَ، فَيَقُولُ: «أَرْسِلُوا يَهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ حَدِيحَةَ» قَالَتْ: فَأَعْصَيْتُهُ يَوْمًا، فَقُلْتُ حَدِيحَةَ: ** فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنِّي قَدْ رَزَقْتُ حُبَّهَا» ** }

(رواه مسلم)

ولمّا سُئِلَ في محفلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ، قِيلَ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: أَبُو هَارَةَ }

(صحيح ابن ماجه)

فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يترك التعبير عن المشاعر:

{ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعَلِّمُهُ إِنِّي بِهِ }

(رواه الترمذي)

{ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي لأُحِبُّ هَذَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَعَلِمْتَهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: أَعَلِمْتَهُ، قَالَ: فَلَجَّعَهُ قَالَ: أَعَلِمْتَهُ، قَالَ: فَلَجَّعَهُ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ، فَقَالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحَبَّنِي لَهُ }

(رواه أبو داود)

فما الذي يمنع أن يُعبّر الإنسان عن مشاعره لأولاده، لزوجته، لأحفاده، لمن حوله من الأصدقاء.

فالنبي صلى الله عليه وسلم علّمنا ذلك مع معاذ فأعلمه بأنه يُحبه، فلذلك أقول: أوصى حبيبه، فقال له: **(أَحْسِنْ خُلُقَكَ لِلنَّاسِ يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ)**.

الإحسان في الدعوة إلى الله:

الناس أبها الكرام؛ ما الذي يشدهم إلى الدين؟ الآن معاذ ذاهب في رحلة دعوية لو دخل إلى الناس فطأ غليظ القلب - حاشاه أن يفعل ذلك وهو خريج المدرسة المحمدية - لو دخل إلى الناس بفضاطة وبغلاظة مهما يحمل من علمٍ ومهما يأتي من دعوةٍ فإنهم سينفرون منه لأن الله تعالى خاطب نبيه الكريم فقال له:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فِيمَا رَحِمَهُ مَنِ اللَّهُ لِنْتَ لَهُمْ □ ** وَ لَوْ كُنْتَ فَطًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْقَضُوا مِنْ خَوْلِكَ □ ** فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ □ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ □ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)

(سورة آل عمران)

فلماذا يكون عند بعض الدعاة فضاطة وبغلاظة، ومع أن الله تعالى ما أراد ذلك لنبيه الذي أوتي الوحي، فحن أولى الناس بأن نتعد عن الفضاطة في الدعوة، وعن الفضاطة في التصح وفي الإرشاد.

لما جاء رجل إلى هارون الرشيد وقال له: سأعطك، وأغليظ عليك، قال: ولم العظمة يا أخي، لقد أرسل الله تعالى من هو خير منك إلى من هو شر مني، أرسل موسى إلى فرعون، قال له:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِيئًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْسَنُ (44)

(سورة طه)

فنحن نحتاج إلى القبول اللين، فهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعه بهذه الوصية؛ آخر ما أوصاه به قال **(أَحْسِنْ خُلُقَكَ لِلنَّاسِ يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ)**. أنت تكسب قلوب الناس بالإحسان، لذلك قالوا: (الإحسان قبل البيان)، قيل أن تتكلم أحسن يُصح لكلامك معنى مختلف، الناس يُحبون الكلمة الطيبة ويحبون الابتسامة الصادقة، يُحبون الصدق والأمانة فهذا كله من حسن الخلق، فأوصاه وصيته فقال: **(أَحْسِنْ خُلُقَكَ لِلنَّاسِ يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ)**.

نماذج عن الأدب عند النبي الكريم والصحاب الكرام:

الآن حديث آخر أيضاً وكل الأحاديث في رحلة اليمن:

{ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: لَمَّا بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ خَرَجَ مَعَهُ يُوصِيهِ، وَمُعَاذٌ رَاكِبٌ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي تَحْتَ رَاجِلَيْهِ، فَلَمَّا قَرَعَ قَالَ: " يَا مُعَاذُ، إِنَّكَ عَسَىٰ أَلَّا تُلْقَانِي بَعْدَ غَامِي هَذَا، وَلَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَذَا وَقِيرِي ". قَبِيكَ مُعَاذُ جَسَعًا لِفِرَاقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ اتَّفَعَتْ يَوْجَهُوَ تَحْوِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ: " إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي الْمُتَّقُونَ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا " (رواه الإمام أحمد)

(لَمَّا بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ خَرَجَ مَعَهُ يُوصِيهِ) انظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأنف وهو قائد الأمة أن يخرج مع جنديٍّ من جنوده أو مع سفيرٍ من سفرائه ليسير معه ويودعه، **(وَمُعَاذٌ رَاكِبٌ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي تَحْتَ رَاجِلَيْهِ)** انظروا إلى هذا الأدب النبوي، عندما يؤدب الله نبيه صلى الله عليه وسلم، هذا الأدب.



تعلّم الصحابة للأدب من مدرسة النبوة

هذا يُدكرنا بخالد بن الوليد يوم سبّر أبو بكر الصديق الجيش، جيش أسامة، وأنفذ بعثت أسامة، فخرج أبو بكر يودع أسامة بن زيد وأسامة عمره في السابعة عشرة، قائد الجيش، وأبو بكر من هو في الفضل والعمير فيقول له أسامة: يا أمير المؤمنين إما أن تركب وإما أن أنزل، لا يستقيم أن أكون راكباً وأنت ماش، فقال له: والله لا نزلت ولا ركبت وما عليّ أن أعتبر قديمي ساعة في سبيل الله، ثم يستأذنه، أبو بكر، يستأذن أسامة أن يُبقي له عمر رضي الله عنه في المدينة معه ليعينه على أعباء الحكم، يستأذنه لأنه قائد الجيش الآن، هذه التراتبية تُعلّمنا أنه لا يمنع أن يستأذن الفاضل المفضول، أبو بكر أفضل الأمة في وقتها لأنه أفضل الناس بعد الأنبياء، لكن لم يمنعه ذلك من أن يستأذن أسامة الذي هو بعمر أبنائه لكن هو الآن قائد جيش وهؤلاء الجنود جنوده فاستأذنه بأن يُبقي له عمر، فهنا سيدنا أبو بكر تعلّم ذلك من مدرسة النبوة، فرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي وَمُعَاذٌ رَاكِبٌ.

ثم تكرر الأمر نفسه بعد عشرة أعوام أو أكثر يوم خرج عمر بن الخطاب إلى القدس إلى فلسطين ليتسلّم مفاتيح القدس، فكان مع أبي عبيدة بن الجراح ومع الخادم، فأصبح يجعل نوبة لكل واحد على الناقه، على الراحلة، فلما وصلوا كان دوره في المشي وجاء الوحل فرقع ثيابه وغاصّ في الوحل، فيقول له أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين ما أحبّ أن القوم استشرفوك على هذه الحال، تدخل عليهم وأنت في هذه الحال! فقال له قولته الرائعة التي أصبحت مثلاً يضرب: "نحن قوم أعزّنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغيره أدلنا الله".



نحن قوم أعزّنا الله بالإسلام

قال له: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، أنت أمين هذه الأمة لا ينبغي أن تعتبي بهذا الأمر، الأمر أكبر من ذلك، "أعزّنا الله بالإسلام"، وهذا أيتها الكرام؛ قانون ينبغي أن يسري إلى قيام الساعة، بعض الناس اليوم يقولون: يا أخي مازلتنا من دلّ إلى دلّ ومن ضعف إلى ضعف، مع أنني والله أستشرف خيراً في هذه الأمة وأرى أننا نُكثِرُ من جلد الذات وأنّ فينا من الخير ما فينا وأسأل الله تعالى أن يزيد هذا الخير ويعم، صحيح أننا في ضعف وفي هوان لأننا تركنا القانون العمري، القانون العمري: "نحن قوم أعزّنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغيره أدلنا الله"، هناك أقوام آخر ما أعزّهم الله بالإسلام، هم اعتزوا بغير الله فتركهم الله لما اعتزوا به، فلربما تفوقوا علينا حيناً وقوانينهم مختلفة عنّا لكن نحن أعزّنا الله بالإسلام، فما من زمن كنا فيه متمسكين يدينا إلا كانت لنا القوة والعزة والثقلية وكانت البلاد بأيدينا وكانت القدس لنا، ولما جدنا عن الطريق فإن الله تعالى جعل هذه السنة ماضية، ما إن تجد عن طريق الله عزّ وجلّ حتى تُضرب علينا الذلة والضعف والهوان، نسال الله أن يفرّج وأن يجعل لنا بعد عسر يسراً.

فتذكّرت كيف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي ومعاً ركب، فجاءني ذكرى أبي بكر يوم مشى وأسامة ركب، ثم ذكرى عمر بن الخطاب يوم مشى وعُلامه ركب، فكلمهم خريجو مدرسة واحدة إنها مدرسة الإسلام العظيم.

الإسلام يجمعنا على العقيدة:



المفهوم الأوسع لآل بيت الرسول الكريم **(إِنَّكَ عَسَىٰ أَلَّا تُلْقَانِي بَعْدَ غَايِي هَذَا)** لعله يكون الوداع، **(فَبَكَى مُعَاذًا)** علم أنه الوداع، **(إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِبَيْتِ الْمُتَّقِينَ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا)** هنا سامحوني.. آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على العين والرأس، ونحن نتقرب إلى الله بحب آل بيته، لكن هناك مفهوم لآل البيت أوسع بقليل من مفهوم آل البيت بمعنى أهل البيت؛ وهذا ذكره أهل العلم وليس من عندي؛ المفهوم الواسع لأهل البيت:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ > رَحِمْتُ اللَّهُ وَتَرَكَائِهِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ > إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ
 (73)

(سورة هود)

(أَهْلَ الْبَيْتِ) هم الْمُتَّقُونَ. أين كانوا وَحَيْثُ كَانُوا، **(إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِبَيْتِ الْمُتَّقِينَ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا)** قَالَ بيته صلى الله عليه وسلم هم الْمُتَّقُونَ مِنْ أُمَّةٍ، وهذا أوسع مفهوم، وهذا المفهوم قريب من قصة نوح مع ابنه، ابنه كان كافراً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَتَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي > وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ
 (45)

(سورة هود)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ > إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ > فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ
 عِلْمٌ > إِنِّي آعِطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْغَافِلِينَ (46)

(سورة هود)

ويشبه تماماً أبا لهب، والله تعالى يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1)

(سورة المسد)

وفي المقابل وَرَدَّ: وإن كان فيه ضعف:

{ جاء عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: **سَلَمَانٌ مِّنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ** }
(أخرجه الطبراني)

وسلمان فارسيُّ لكن النبي صلى الله عليه وسلم جعله من أهل بيته، وصهيب الرومي:

{ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: أَقْبَلَ صُهَيْبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مُهَاجِرًا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتْبَعَهُ تَقَرُّ مِنْ فُرَيْشٍ، فَتَرَلَّ عَنْ رِجْلَيْهِ،
وَاسْتَلَّ مَا فِي كِتَابَتَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ فُرَيْشٍ، لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَزْمَاكُمُ رَجُلًا، وَإِنَّمِ اللَّهُ لَا تَصِلُونَ إِلَيَّ حَتَّى أُرْمِيَ كُلَّ سَهْمٍ مَعِيَ فِي كِتَابَتَيْهِ،
ثُمَّ أَصْرَبَ بِسَيْفِي مَا بَقِيَ فِي يَدِي مِنْهُ شَيْءٌ، ثُمَّ أَفْعَلُوا مَا شِئْتُمْ، وَإِنْ شِئْتُمْ دَلَلْتُكُمْ عَلَى مَا لِي دَفِينِي بِمَكَّةَ، وَخَلَيْتُمْ سَبِيلِي؟ قَالُوا: نَعَمْ، تَقْبَلُ،
فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، قَالَ: رِيحُ النَّبِيِّ أَمَا يَخْتِي، **رِيحُ النَّبِيِّ أَمَا**
يَخْتِي } قَالَ: وَتَرَلَّتْ: { وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَسْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ }
(رواه ابن أبي خاتم في التفسير)

يقول له: (ريح النبي أبا يحيى، ريح النبي).

ولبلال الحبشي؛ كان الصحابة يقولون: أبو بكرٍ سيِّدنا وأَعْتَقَ سَيِّدَنَا، فيقولون لبلال الحبشي وهو من الحبشة هو سيِّدنا، وهو من الحبشة، فالإسلام أممي.
الإسلام يجمعنا على العقيدة لا يجمعنا على النسب، أعيد وأكرر النسب على العين والرأس، لا أنكر أهمية النسب في الإسلام لكن هو تاج بعد الإيمان والخلق، فإذا فُقد الإيمان
والخلق فلا قيمة للنسب.

{ وَمَنْ تَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ }

(أخرجه مسلم)

{ يَا قَاطِمَةُ، أَنْفِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا }

(صحيح مسلم)

{ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَه لَمَّا بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: **إِيَّاكَ وَالتَّعَمُّمَ فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيَسُؤُوا بِالْمُتَتَعَمِّينَ** }
(رواه الإمام أحمد)

التحذير من التَّعَمُّمِ في الدنيا:

أيضاً هذا في الصحيح، لكن هنا يحتاج الأمر إلى شرح، ما منا إنسانٌ إلا ويتَّعَمُّ بالدنيا، ولا يمنع شرعاً أن يأخذ الإنسان من نعيم الدنيا، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم يوم أصاب طعاماً وأكل تمرّاً وشرب ماءً قال والله إن هذا هو النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة، ثم قرأ قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ثُمَّ لِنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (8)

(سورة التكاثر)



التَّعَمُّمُ وسيلةٌ وليس غاية

فكلنا نتَّعَمُّ بالدنيا، فما معنى **(إِيَّاكَ وَالتَّعَمُّمَ)**؟ يحذره من التَّعَمُّمِ، التَّعَمُّمُ من تَتَمَّ، يَتَّعَمُّ أي جعل قصده في الحياة التَّعَمُّمَ فاستهدفه فأصبح همُّه التَّعَمُّمُ، وهنا المشكلة، التَّعَمُّمُ وسيلةٌ وليس غاية، فقال العلماء: المقصود بالحديث **إِيَّاكَ** أن تجعل التَّعَمُّمَ غايتك في الحياة، غايتك رضوان الله، وتَتَّعَمُّ ما دام هذا التَّعَمُّمُ في طاعة الله، فإذا وجدت أنه سيؤدِّي بك إلى معصية تركته، أو إذا وجدت أنه معصية في حدِّ ذاته كَمَنْ يَتَّعَمُّ بالشهوة الحرام والعياذ بالله أو بالمال الحرام فهذا بعيدٌ عن مقصد الحياة، نحن مخلوقون في الدنيا لهدفٍ وهذا الهدف هو تحقيق رضوان الله تعالى وعبادته على الوجه الكامل بالطريقة التي شرعها جلَّ جلاله، العبادة بمفهومها الواسع لا بمفهومها الضيق، فكلُّ حركةٍ في الحياة يُبتغى بها وجه الله وتأتي وفق شرع الله فهي عبادة، فالطبيب في عبادته يُعْبُدُ الله، والنجار في منجرتِه يُعْبُدُ الله، وعامل النفايات الذي يعمل في الوطن لِيَلْمَ النفايات يُعْبُدُ الله بعمله، مفهوم العبادة واسع جداً كلُّ إنسانٍ في مهنته، مع أهله، ربما في نزهته مع أهله فهو يُعْبُدُ الله ما دامت حركته وفق منهج الله ويتبعي بما يفعله وجه الله فهو في عبادة، هذا المفهوم العام للعبادة، أما العبادات الشعائرية: الصلاة والصيام والزكاة والحج هي جزءٌ مِنَ العبادات وهي أركان الإسلام وبنَى الإسلام عليها لكنَّ الإسلام كله عبادة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)

(سورة الذاريات)

لأن بعض الناس يفهمون أن العبادة هي تلك العبادات الشعائرية الخمس، فيقول لك: هل الله عزَّ وجلَّ يريد صلاتنا وصيامنا؟ لا، الله تعالى يريد أن تعبده بمعنى العبادة الواسع الكلي الذي يعمُّ الأرض بالخير.

فهنا **(إِيَّاكَ وَالتَّعَمُّمَ)** يُحذِّره من أن يصبح النعيم هدفاً له في الحياة، قلت لكم: إنني فرأت لبعض علماء النفس أنهم يقولون: "إذا استهدفت اللذة في ذاتها انقلبت إلى شقاء".

أي لذة تستهدفها تنقلب إلى شقاء، الإنسان الذي يستهدف النساء- شهوة النساء- ومما حلَّ أو مما حُرِّم بعد حين هذه اللذة تنقلب إلى شقاءٍ عليه، يَمَلُّهَا، فتصبح مصدر تعاسٍ بعد أن كانت مصدر سعادةٍ فيما يظن، فاللذة لا تُستهدف وإنما تكون وسيلةً لغاية، فنحن نتَّعَمُّ بالدنيا بطاعة الله وبما يرضي الله لا مانع، لكن لا نتَّعَمُّ بالدنيا لأننا لم نُخلق للتَّعَمُّمِ، يعني لا نجعل التَّعَمُّمَ هدفاً، هذا هو معنى الحديث.

الدنيا همٌّ من الهموم:

الأمر الآخر: الله تعالى في قرآته يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ لَكُمْ طَبِيبٌ لَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا
فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ (20)

(سورة الأحقاف)

هو جعل الدنيا أكبر همّه فأذهب طبيّاته في الحياة الدنيا، لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول:

{ قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُو يَهْؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ لِأَصْحَابِهِ: اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا
وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمَنْ طَاعَتِكَ مَا تَبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمَنْ يُقِينُ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ
الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا
تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمًّا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تَسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا }

(صحيح الترمذي)



الهمُّ الأكبر هو الآخرة

(اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا) ولم يقل: اللهم لا تجعل الدنيا همًّا، انظر إلى دقة اللفظ النبوي: لو قال: اللهم لا تجعل الدنيا همًّا، مَنْ مِنَّا لَا يَهْتَمُّ لِلدُّنْيَا؟ أَنْتَ الْيَوْمَ فِي
تِجَارَتِكَ عِنْدَكَ مَشْكَلَةٌ فَلَا تَنَامُ اللَّيْلَ، هَذَا وَاقِعٌ، إِذَا مَرَضَ ابْنُكَ - نَسَأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ لِلْجَمِيعِ - تَقْلِقُ عَلَيْهِ وَتَسْبِهُرُ عَلَى رَاحَتِهِ، مَنْ مِنَّا لَا يَهْتَمُّ لِلدُّنْيَا؟ لَكِنْ لَيْسَتْ أَكْبَرَ الْهَمِّ، مَا أَكْبَرَ
هَمِّنَا؟ الْآخِرَةُ، أَكْبَرَ الْهَمِّ هُوَ الْآخِرَةُ، الدُّنْيَا هَمٌّ مِنَ الْهَمُومِ لَكِنْهَا لَيْسَتْ أَكْبَرَ الْهَمِّ، قَالَ: **(وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا)** لِأَنَّ مَبْلَغَ الْعِلْمِ أَنْ تَصِلَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ، أَمَّا الدُّنْيَا لَيْسَتْ مَبْلَغُ الْعِلْمِ،
مَهْمَا بَلَغَتْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعِلْمِ فَهِيَ جِزْءٌ.

فيا أحبائنا الكرام: قال: **(إِيَّاكَ وَالتَّوَكُّلَ فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيُسْؤُوا بِالْمَتَّعِيِّينَ).**

رحمة الله عزَّ وجلَّ بعباده:

عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: وَهَذَا أَيْضًا يَبْدُو فِي رِحْلَةِ الْيَمَنِ كَمَا هُوَ سِيَاقُ الْحَدِيثِ:

{ يَا مُعَاذُ، أَتَبِعِ السَّبِيَّةَ الْحَسَنَةَ تَمْجُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقِ حَسَنِ }

(رواه الترمذي)

(أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا) أي تمحو الحسنه السيئه، (وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقِي حَسَنٍ) وهذا مستفادٌ مِنْ حَدِيثٍ آخَرَ فِي الصَّحِيحِ وَهُوَ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ مَا جَعَلَهُ الْعُلَمَاءُ عَلَى رَأْسِ الْأَبْوَابِ فِي الشَّرِيعَةِ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

{ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ** "اتَّبِعِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ**
وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقِي حَسَنٍ"

(رواه الترمذي)

كلنا ذو خطأ من لا يقع في الخطأ؟

{ كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ }

(رواه الترمذي)

لكن المؤمن إذا وقع في سيئه أتبعها بالحسنة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مَنْ اللَّيْلِ □ ** إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ □** ذَلِكَ
ذَكَرْتُ لِلذَّاكِرِينَ (114)

(سورة هود)

الحسنة تُذهب السيئة وهذا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِنَا.

أحياناً في القوانين الوضعية؛ مدير شركة ليس عنده في قانونه (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) يُسَجَّلُ عَلَيْكَ كُلُّ شَيْءٍ، إِنْ صَنَعْتَ مَعْرُوفًا أَذْهَبَ مِنْكَ، لَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ رَحْمَتِهِ بِنَا إِذَا وَقَعْتَ فِي سَيِّئَةٍ فَاتَّبِعْهَا بِالْحَسَنَةِ تَذْهَبُ السَّيِّئَةُ، انْتَهَى الْأَمْرُ، هَذَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

الفرق بين المغفرة والصفح والعفو:

والله أيها الكرام: لولا أن الله فتح لعباده هذه الأبواب أبواب الرحمة لضاقت علينا الأرض بما رحبت:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ** صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ** وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ
أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا □ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (118)

(سورة التوبة)

مَنْ مِنْنا لَا يُذْنِبُ؟! وَإِذَا كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ لَنَا رَبًّا رَحِيمًا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَتَجَاوَزُ عَنِ الدَّلَّةِ وَيَعْفُو وَيَصْفَحُ وَيَغْفِرُ، اللَّهُ تَعَالَى يَعْفُو وَيَصْفَحُ وَيَغْفِرُ، وَأَمَرْنَا فَقَالَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّمَّنْ عِنْدَ أَنفُسِهِمْ مَّنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذُنُوبِكُمْ (سورة البقرة)
 قَاغُوا وَاصْغُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (109)

(سورة البقرة)



المغفرة هي البسّ

(قَاغُوا وَاصْغُوا) واغفروا، والمغفرة هي البسّ، ألا نقول: جمع غفير، ما معنى جمع غفير؟ من كثرة الناس غطّى جمعهم وجه الأرض فقالوا: جمع غفير، فَعَقَرَ مِنَ الْغَطَاءِ، ومثلها كَفَّرَ نَسَالَ اللَّهِ الْعَافِيَةَ مِنَ الْغَطَاءِ، كَفَّرَ وَعَقَرَ التَّغْطِيَةَ، الْكَافِرَ غَطَّى عَلَيْهِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الَّذِيْنَ كَاتَبْتَ اَعْيُنُهُمْ فِي غَطَاٍ عَن ذِكْرِيْ وَكَانُوْا لَا يَسْتَطِيْعُوْنَ سَمْعًا (101)

(سورة الكهف)

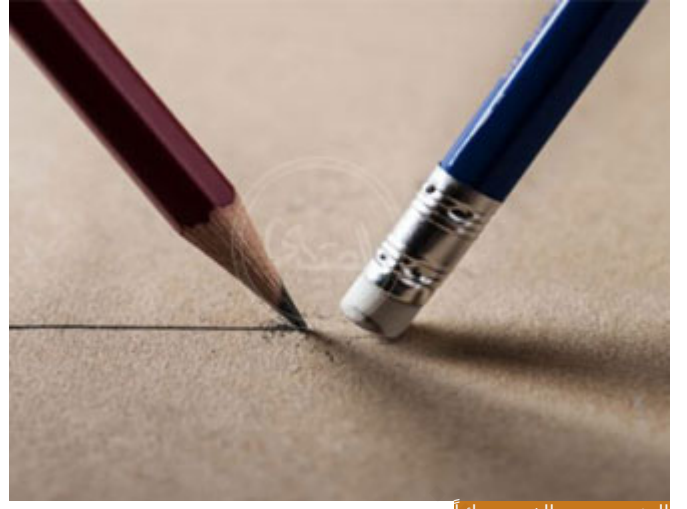
فَعَطَّى عَلَيْهِ عَنِ الْحَقِّ فَسَمِّيَ كَافِرًا لِأَنَّهُ غَطَّى أَعْيُنَهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى عِنْدَمَا يَسْتُرُ ذَنْبَكَ فَهُوَ يَغْفِرُهُ، يَعْنِي أَنْتَ تَذْنِبُ وَلَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ، غَطَّاهَا لَكَ، هَذِهِ الْمَغْفِرَةُ، أَمَا الصَّفْحُ، قَالَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 اَقْتَضَرْتُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا ۗ اَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِيْنَ (5)

(سورة الزخرف)

فَنَقُولُ: صَفَحَ عَنْهُ: أَيِ اعْطَاهُ صَفْحَةَ وَجْهِهِ، أَنْتَ إِذَا رَأَيْتَ إِنْسَانًا يَقَعُ فِي الذَّنْبِ أَمَامَكَ أَوْ وَقَعَ فِي مَوْقِفٍ مَّحْرَجٍ يَا أَحِي وَلَا يَسُئِرُ بِالذَّنْبِ أَنْسَبُ شَيْءٍ تَفْعَلُهُ أَنْ تُدِيرَ وَجْهَكَ، تَغَاضَى، تَغَافَلُ، مِنْ خَلَقِ الْمُؤْمِنِ التَّغَافُلَ.

يَقَالُ إِنَّ حَاتِمَ الْأَصْمِ سُمِّيَ الْأَصْمَ لِأَنَّهُ كَانَ قَاضِيًا فَدَخَلَ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ وَزَيْنُهَا ثَقِيلٌ فَأَرَادَتْ أَنْ تَصْعَدَ إِلَيْهِ فَخَرَجَ مِنْهَا صَوْتُ أَجْلَكُمُ اللَّهُ، فَأَجْرَجَتْ إِجْرَاجًا عَظِيمًا مِنْهُ وَاحْمَرَّتْ وَجْهَهَا أَمَامَ الْقَاضِيِ، وَصَلَتْ إِلَيْهِ تُرِيدُ أَنْ تَحَدِّثَهُ عَنْ زَوْجِهَا، فَقَالَتْ: إِنَّ زَوْجِي، فَقَالَ: ارْفَعِي صَوْتِكَ لَا أَسْمَعُكَ، فَرَفَعَتْ، قَالَ: لَا أَسْمَعُ، أَنَا سَمِعِي خَفِيفٌ، فَادَارَتْ وَجْهَهَا إِلَى أُخْتِهَا الَّتِي مَعَهَا قَالَتْ لَهَا: الْحَمْدُ لِلَّهِ لَمْ يَسْمَعْ، فَسَمِيَ الْأَصْمَ وَهُوَ لَيْسَ أَصْمًا لِأَنَّهُ تَغَافَلَ عَنِ هَذَا الشَّيْءِ، أَمَّا بَعْضُ النَّاسِ إِذَا رَأَى إِنْسَانًا وَقَعَ فِي مَوْقِفٍ مَّحْرَجٍ يَضَعُ عَيْنَيْهِ عَلَيْهِ فَوْرًا، لَيْسَ هَذَا مِنَ الْأَدَبِ، يَجِبُ أَنْ تَغَاضَى عَنْهُ، فَالصَّفْحُ أَنْ تُعْطِيَهُ صَفْحَةَ وَجْهِكَ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَسْتُرُكَ وَمِنْ لَطْفِهِ أَنَّهُ يَصْفَحُ عَنْكَ.



العفو هو محو الذنوب نهائياً

إما العفو فيقال: عقت الآثار، آثار الأقدام عقت يعني مُسحت بشكل كامل، ذهبت، مسحها نهائياً، فالله تعالى يتعامل مع ذنوبنا بأنه يغفرها، يسترّها عن الناس، ويصفح عنها بمعنى أنه يتجاوز عنها ولا يذكرك بها ولا يُخجلُك بها، وأنه يعفو بمعنى أنه يمحوها نهائياً من صحيفتك فتأتي يوم القيامة فلا تجدها، غير مسجلة، انتهت، فإذا بقي شيء عليك يتابع عفوهُ جلّ جلاله يوم القيامة، إذا بقي شيء يتابع عفوهُ، فجاه في الحديث:

{ بِئَمَا أَنَا مُشْبِيهِ مَعَ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَجِدُ بِيَدِهِ، إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **إِنَّ اللَّهَ يُدْرِي الْمُؤْمِنَ، فَيَصْعُقُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: تَعْمُ أَيُّ رَبٍّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ،** قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَعْفِزُهَا لَكَ النَّوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُتَأَفِّقُونَ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: **هُؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَى رَبِّهِمْ آلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الطَّالِبِينَ** [هود: 18] }

(صحيح البخاري)

فالله تعالى يغفرُ ويصفح ويعفو فما أكرمهُ مِنْ إله، فما رُدُّ فعلنا نحن؟ إذا وقعنا في الذنب أن نبادر إلى بابه فوراً، ألا تتأخَّر عليه. إذا أياها الكرام: **أَتَبِعَ السُّنَّةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا** هذا العفو، المحو نهائياً، تُلغى، **(وَخَالِقِ النَّاسِ بِخُلُقِي حَسَنٍ)** خالقي: أي عامل، فيه فعل مباركة، مشاركة، لأنه قال: قاتل بمعنى القتال من الطرفين، عاملٌ معاملة من الطرفين، خالقه أي عامله بخُلُقِي حَسَنٍ، وذكرنا مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ: التواضع والوفاء والحب والخير وكل ما يندرج تحت الأخلاق الحسنة.

سيدنا معاذ في نهاية رحلته:

معاذ بن جبل أصيب بالطاعون في الشام فكان يُعَسَى عَلَيْهِ-يغيب عن الوعي قليلاً- فإِذَا أَفَاقَ قَالَ: **(اللَّهُمَّ عَمِّي عَمَّكَ) هُمُّهُ اللهُ، هَمِّي رِضَاكَ، (إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي أَجُوكُ)،** فلما حضرته الوفاة، قَالَ: **(أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لَيْلَةٍ صَبَّاحُهَا إِلَى النَّارِ، مَرْحَبًا بِالْمَوْتِ، مَرْحَبًا، زَائِرٌ جَاءَ تَعَدَّ غِيَابَ، وَحَبِيبٌ وَقَدَّ عَلَى سَنُوقِ)،** ثم نظر إلى السماء وقال: **(اللَّهُمَّ أَنِّي كُنْتُ أَخَافُكَ لَكِنِّي الْيَوْمَ أَرْجُوكَ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَكُرِّ إِجْبُ الدُّنْيَا وَطَوْلَ الْبَقَاءِ فِيهَا لِعُرْسِ الْأَشْجَارِ، وَجَزِي الْأَنْهَارِ، وَلَكِنْ لَطَمًا الْهَوَاجِرِ، وَمَكَابِدَةَ السَّاعَاتِ، وَمَرَاحِمَةَ الْعُلَمَاءِ بِالرُّكْبِ عِنْدَ جَلْقِ الذِّكْرِ، اللَّهُمَّ فَتَقَبَّلْ نَفْسِي بِخَيْرٍ مَا تَقَبَّلُ بِهَا نَفْسًا مُؤْمِنَةً)،** ثم فاضت روحه.

بين الخوف والرجاء:

شرح الكلام: **(اللَّهُمَّ أَنِّي كُنْتُ أَخَافُكَ لَكِنِّي الْيَوْمَ أَرْجُوكَ) أَرْجُوكَ** المؤمن في لحظات الموت ينتقل مِنْ حَالِ الْخَوْفِ إِلَى حَالِ الرَّجَاءِ، يعيش على حال الخوف فلَمَّا تحضره الوفاة يأتيه الرجاء برحمة الله، يغلب عليه الرجاء وهذا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ بِالْإِنْسَانِ.

سيدنا عمر بن عبد العزيز كان كلِّما دخل دار الخلافة قرأ قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَفْرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ (207)

(سورة الشعراء)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا □ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83)

(سورة القصص)

فعاش على الخوف وحثم له بالرجاء، ومعاذ بن جبل عاش على الخوف من الله وحثم له برجاء رحمة الله، (اللَّهُمَّ أَنِّي كُنْتُ أَخَافُكَ لَكِنِّي الْيَوْمَ أَرْجُوكَ)، وقد جاء في الحديث القدسي:

{ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: } (تَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفِينَ، وَلَا أَجْمَعُ

لَهُ أَمْنِينَ، إِذَا أَمِنْتِي فِي الدُّنْيَا أَحَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

(أخرجه ابن حبان)



معادلة الأمن والخوف

(لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفِينَ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنِينَ) أَمْنِينَ لَا يَوْجِدُ، وَخَوْفِينَ لَا يَوْجِدُ، (إِذَا أَمِنْتِي فِي الدُّنْيَا أَحَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) هِيَ مَعَادِلُهُ عِنْدَكَ أَمِنْ وَخَوْفٍ، اخْتَرِ مَاذَا تَرِيدُ أَوَّلًا، إِذَا كُنْتَ نَاجِحًا فَالْحَا نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ هَؤُلَاءِ نَخْتَارُ أَنْ يَكُونَ الْخَوْفُ أَوَّلًا لِأَنَّ الْخَوْفَ مَحْدُودٌ، سِنَوَاتٌ مِنَ الْخَوْفِ بَعْدَ ذَلِكَ يَوْجِدُ أَبَدًا الْآبِدِينَ، وَإِذَا كَانَ أَحَدٌ يَحِبُّ أَنْ يَأْمَنَ مَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَأْمَنَ غَضَبَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَفْعَلُ مَا يَحُلُو لَهُ فِي السِّنَوَاتِ الْمَحْدُودَةِ فَلْيَتَّجِهْ لَخَوْفٍ إِلَى الْآبِدِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، (لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفِينَ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنِينَ).

فقال: (اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعَلَّمْتَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَجِبْتُ الدُّنْيَا وَطَوَّلْتُ التَّبَاقُ فِيهَا لِعُزْسِ الْأَشْجَارِ، وَخِزْيِ الْأَنْهَارِ) لَمْ يَكُنْ هَدَفِي مَادِيًّا، لَمْ يَكُنْ هَدَفِي مَزَارِعَ وَكَذَا أَبَدًا، (وَلَكِنْ لَطَمًا الْهَوَاجِرِ) الطَّمَا هُوَ الْعَطَشُ، الْهَوَاجِرُ جَمْعُ هَاجِرَةٍ وَهِيَ الصَّحْرَاءُ، يَعْنِي كَانَ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، طَمًا الْهَوَاجِرِ، كِنَايَةٌ عَنِ الْجِهَادِ وَالتَّعَبِ.

قال: (وَمَكَابِدَةُ السَّاعَاتِ) التَّعَبُ، الْكَبْدُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (4)

(سورة البلد)

يعني في تعبٍ ورهق، فكان يُحِبُّ الدُّنْيَا مِنْ أَجْلِ الْبَدْلِ وَالْعَطَاءِ حَتَّى يُقَدِّمَ شَيْئًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.
(وَمَرَّاحَةُ الْعُلَمَاءِ بِالرُّكْبِ عِنْدَ جَلْقِ الذِّكْرِ) حُضُورُ مَجَالِسِ الْعِلْمِ، (اللَّهُمَّ فَتَقَبَّلْ نَفْسِي بِخَيْرٍ مَا تَقَبَّلْتُ بِهِ نَفْسًا مُؤْمِنَةً) ثُمَّ فَاضَتْ رُوحَهُ.

مصادر التشريع في الإسلام:

هذه رحلة اليمن جمعك فيها الأحاديث الشريفة التي صحّت عن معاذ بن جبل أنه ذهب إلى اليمن وأوصاه النبي صلى الله عليه وسلم بها، هناك حديثٌ إتماماً للفائدة؛ وهذا له علاقة بالأصول أو بالفقه وهو أصل في بابه:

{ عَنْ أَنَسٍ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ }
<weight:bold>" قَالَ " كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ " ، قَالَ أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ ، قَالَ " فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ " . قَالَ : فَيَسْتَنْتِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ " فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا فِي كِتَابِ اللَّهِ " قَالَ : أَجْتَهُدُ رَأْيِي وَلَا أَلُو ، قَصَّرَتْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدْرُهُ وَقَالَ " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ " {
(أخرجه أحمد وصححه بعض أهل العلم)



القرآن والسنة أول مصدرين للتشريع

(كَيْفَ تَقْضِي بَا مُعَاذٍ؟) يعني أنت اليوم عندك قضاء، أنت اليوم ذاهبٌ كفاض ومفيط، وسفيرٌ قبأتيك الناس، **(بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ)** يفتح كتاب الله وما يأمر الله به، **(فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ)** لم تجد الحكم في كتاب الله، **(أَجْتَهُدُ رَأْيِي وَلَا أَلُو)** يعني ولا أقصر، أستنفذ الوُسْعَ في وصول الحكم الصحيح بالاجتهاد، والاجتهاد هو بناءٌ على النصوص ليس اجتهاداً مجرداً عن النصوص، يعني قد باتيك شيءٌ الحكم فيها غير موجود لكن تجهد اليوم بناءً على النصوص الموجودة، **(قَصَّرَتْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدْرُهُ وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ)**، فأصل هذا الحديث أخذوا منه أن القرآن الكريم في المرتبة الأولى في الحكم الشرعي، ثم تأتي السنة الصحيحة، ثم يأتي الاجتهاد الذي يُسميه الفقهاء بالقياس يعني يقبس شيئاً على شيءٍ ويستنبط منه الحكم الشرعي وله ضوابطه، لكن هذه أيضاً في رحلة اليمن فأجبت أن أضيفها، وأشكر لكم حُسن الاستماع والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.